أمثلة من الترجمة

Martin Baltscheit / Wiebke Rauers (Illustration)
Krähe und Bär

Dressler Verlag, Hamburg 2017
ISBN 978-3-791-50025-6

صفحات 41-5

مارتن بالتشايت / فيبكه راورس (رسوم)
"الغراب والدب"

ترجمة لطيفة الحداد

© 2018 Litrix.de

المدخل

ما حدث مؤخرا في حديقة الحيوانات:

- "قل لي أين هو الدب؟"
- ".يقف نائما جنب الجدار"
- "جنب الجدار؟ حقا! أ يقف هكذا طوال اليوم؟"
- ".نعم، إلا إذا كان مستلقيًا أو يأكل"
- "يأكل وينام فقط ولا يفعل شيئا آخر؟"
- ".ماذا عساه أن يفعل؟ إنه يعيش حياة هادئة سعيدة"
- "ونحن علينا أن ننظف ونزيل الأوساخ!"
- "هناك الأسوأ من ذلك. هيا أسرع، خذ المكنسة!"
- "انظر إلى الغراب، إنه يعيش مرتاحًا، يأكل ما تبقى من الطعام ثم يطير أينما يشاء"
- ".لكنها ليست الحياة الأمثل بالنسبة لي"
- "ألأنه يطير بحرية؟"
- ".بل لأنه يتسول دائما"

© 2018 Litrix.de

مغمور بالمياه

أخذ الغراب زِمَامَ المبادرة ليلتقط ما يسد به رَمَقَهُ إلا أنه سقط فجأة. لقد طار مثل ريشة في السماء وسقط مثل حجرة في الماء. أخطأ الهدف. فالجوع أَثَّرَ على حركته وجعله لا يقوى جيدا على الطيران.

إذا فرض الجوع سيطرته، أمر بشيء واحد: **إحضار الأكل!** أكل أي شيء وبأي طريقة وفي أي مكان!. يَتَنَاثَرُ في بعض الأحيان شيء من الطعام على الأرض ولا يجد الغراب إليه سبيلا. أثار انتباهه عظم كبير تحت أشعة الشمس مَكْسُوٌّ باللحم ونصفه مُتَعَفِّنْ، وتخيل كما لو أن قطعة العظم تُحدّثه قائلة:

-"مهلا أيها الغراب لقد ترك الدب الغبي بعضا مني تعال وخذني!"

هم الغراب في غفلة من الدب بالاقتراب، إلا أن قوة الريح الخلفية وخِشْيَتِهِ من كسر جناحيه جعلته يُغَيِّرُ مساره باتجاه بركة الدب.

لقد سقط في الماء! إنه لأمر سخيف، فهو لا يُجِيدُ السباحة!

-"أيها الدب الغبي! إنني أغرق

ساعدني! ساعدني أرجوك!

...هيّا أيها الدب السمين

مد لي كفك وإلا ستكون نهايتي أن أُوَسِّخَ البركة بجثتي المسمومة

تَبّا لك!

....أيها الملعون

إنني لن أنجو

يا صاحب المُؤَخِّرَةِ العريضة!

أليس لديك قلب؟

أليس لديك...؟

...إنني لن

لن...أنجو..."

الغرق

شعر الغراب وهو يحاول التنفس للوهلة الأولى في الماء بالدفء على الرغم من أن الماء بارد جدا. بعدها كاد النور الساطع الذي بَاغَتَهُ فجأة من آخر القفص أن يعمي هذا الحيوان الصغير رغم أن عينيه مغلقتان. وفي النهاية سمع جوقًا أَرْهَفَتْهُ أصوات غنائية رغم أن لا أحد يغني في البركة. إن النور والدفء والأصوات التي تغني مثل الملائكة منحته إحساسا بالرضا. لقد نجح أخيرا في التَّخَلُّصِ من الجوع، من التسول ومن البحث في الصباح عن لُقْمَةِ المساء. بينما كان النور المُنْبَعِثُ يزداد إشراقًا، كلما كان حجم الهواء في رئتيه يَقِلُّ أكثر من ذي قبل. شارف الأكسجين في الدماغ على النّفاد، لامناص إذن من التفكير في الكلمة الأخيرة:

حسنا"."-

تعارف

قد نقول إن القصة انتهت اذا خلت القصص من المعجزات والغرائب. إلا أن هذا الاحتمال لا ينطبق على هذه القصة التي تضمنت معجزة حصلت للغراب وهي أنه لم يمت ولم يستيقظ في السماء بل استيقظ في سِيَاجِ الدب، على أرض صلبة ممتلئة بالرمال والأحجار.

بصق الغراب الماء، سعل ورمّش بعينيه فإذا به يرى خلف الجفون المبللة دبا غير واضح المعالم يمشي راسمًا دائرة بكل هدوء.

-"قل لي بالله عليك هل كنت تريد أن تأكلني؟ ما الذي يُعِيقُكَ عن أن تُخْرِج غرابا صغيرا مثلي من الماء؟هل أطرافك مُكَبَّلَةٌ بالأحبال؟ أيها المفترس الفتّاك! هل تسمعني أم أصابك الصمم من شدة الرفاهية التي تعيشها؟ إنني أوصيك مستقبلا، عندما يكون غراب على وشك الغرق أن... لا تُبْقِيهِ في الأسفل فهذا فعل سيئ بل تسحبه إلى أعلى، هذا هو المفروض القيام به!"

لم يتحمل الدب صراخ الغراب الذي أزعجه وقام بسحبه فقط.

-" انتظر مكانك، أيها الدب البني **المقرف**!"

ظل الدب واقفا في مكانه.

-"جيد جدا، شكرا لك."

اهتزّ الغراب وتمدد ثم نفض جناحيه فانقلب على شكل ذميم، كما أن ريشه المبلل جعل منه حيوانا مثيرا للشفقة.

-"يقف هنا الدب الذي أنقذ حياتي. ما اسمك؟"

-"أنت لست مؤدبا."

-"إنه اسم نادر."

-"قلت إنك لست مؤدبا!"

-"إن الأدب من شِيَمِ الحيوانات الشبعانة أيها المُتَمَخِّطْ."

-"أنا لا أحب الغربان الوقحة."

-"ولهذا السبب كنت تريد أن تقتلني؟!"

-"أردت الحفاظ على هدوئي."

-"أ لأجل ذلك تفتك بطير صغير مثلي؟"

-"من قفز في الماء؟"

-"لم أقفز بل تعثرت".

-"لقد كانت البركة بالصدفة في طريقي ونسيت أن أكتب في بطاقة الدعوة..."

-"عن أي دعوة تتحدث؟"

استدار الدب نحو الغراب وأقبل نحوه، أطبق عينيه الصغيرتين وحفر مخالب كفتيه الأماميتين في الرمال المتربة ثم قال منتفضا:

-" عزيزي الغراب تفضل إلى **حفلة العظام** ولتأخذ شيئا منه، لكن كن على حذر فالبركة ساخنة وتَلْسَعُ!"

-"قل لي بالله عليك مالذي جرى لك؟ هل مزاجك سيئ الآن؟"

-"مهلا، هل أنت **غبي** لهذه الدرجة؟"

-لم أتلقّ في حياتي كلها مثل هذه الدعوة"."

-مثل هذه الدعوة **لم تحدث مطلقا"."**

صحيح إن مثل هذه الدعوة لم تحدث مطلقا، لقد اختلق الدب نكتة واندهش من نفسه فهو لا يُجِيدُ النكات ولا إلقاء النكات الفظّة بالأساس. ابتعد الغراب عن الدب قافزًا والماء يتطاير من ريشه.

-"حسنا حسنا لقد فهمت، اصرخ أكثر فبصراخك ستنشف جناحي من قطرات الماء... ثم لا داعي للتباهي بنفسك أكثر من اللازم. أنا كنت على وشك الرحيل، أيها الضَرَّاطْ!"

-**"كيف!؟"**

-"أنا أكافح من أجل حياتي هنا، وكنت على وشك الموت. لقد رأيت نورا يسطع من نهاية القفص...، حيث يسود الحب وحيث لا مكان للجوع و لا للأعداء".

أمال الغراب رأسه لِيُخْرِجَ الماء من أذنيه، فهذه عادة قديمة للغربان أن تميل رأسها بهذه الطريقة.

نظر الدب للغراب جيدا ثم سأله:

-"ولماذا لم تبق هناك؟"

نعق الغراب قائلا:

-"أردت أن أعيش!" فردّ عليه الدب مصرخًا:

-**"فلتعش إذن بعيدا عني وطِر من هنا!"**

ساد الصمت هُنَيْهَة. استمرّ الدب في اتجاهه المعتاد، لقد قال كل ما في جُعْبَتِهِ ولم يعد يهتم لأمر الغراب.

-"هل لديك منشفة؟ لقد أصبحت مبلولا مثل الضفدع ولا أستطيع الطيران بهذا الشكل، وإذا لم أطر فستأكلني الكلاب...ألا تعي ما أقول أيها المعتوه البليد؟"

مد الغراب جناحه مرة أخرى.

-"آه...آآآي... أعتقد أنك قد كسرت جناحي.

هذا ما يُمَيِّزُكُمْ أنتم الدببة عن باقي الحيوانات، تتطاولون على الغير ثم تسألون بعدها. همكم الوحيد فقط أن لا تقتسمون الطعام مع أحد، وفي الأخير تموتون من الوحدة. أنا أعرف حق المعرفة لماذا يتم سجنكم في الأقفاص: حين تذهبون إلى متجر ما لاقتناء قنينة من العسل، تدفعون بمؤخرتكم السمينة كل الرفوف، وفي إشارة الضوء الأحمر مثلا تخالفون قواعد المرور بعدم وقوفكم، ربما لأنكم عُمْي الألوان، وعندما تقصدون محل المثلجات تطلبون ثلاث كرات منها وتتناولونها، ثم تفترسون البائع...! أما الطامة الكبرى فهي أسنانكم! إنها حقا مثل الأسلحة! إن البشر تطلق النار عليكم لأنكم قدوة سيئة للآخرين".

أمسك الدب الغراب من عنقه ضاغطا بشدة على حنجرته وقال:

-"هل كل الغربان ناكرين للجميل مثلك؟"

شعر الغراب بضيق في التنفس وانحبس صوته ثم تلفّظ بصعوبة:

-"كغ كغ كغغغغ"

-"لقد أنقذت حياتك".

-"إنني لم أعد أتنفس، اتركني وشأني أرجوووووك"...

-"قل من فضلك".

-"من فضلك".

ترك الدب عنق الغراب.

-"شكرا!"

-"شكرا لك أيضا".

سعل الغراب وأدرك أن عليه أن يترك مسافة كبيرة بينه وبين الدب الذي أنهى بدوره المقابلة قائلا:

-"ارحل الآن! ولا أريد أن أراك هنا مرة أخرى! أبدا!"

هم الغراب بالطيران في السماء المظلمة إلا أنه لم يسمع جملة الدب الأخيرة:

-"نور يسطع من نهاية القفص؟ ما هذا الهُرَاءُ المقرف؟!"

حرية اتخاذ القرار

يَغُطُّ الدب في نوم عميق، ويُطْلِقُ شخيرا عاليا منتظم الأنغام تسمعه كل الحيوانات في الحديقة.

مرت الليلة الماضية في هدوء، خالية من المغامرات، وحَلَّ الصبح كآلاف المرات قبله لا يحمل معه أي جديد. يوضع ككل مرة دلو صفيحي، مملوء بقطع من اللحم بالعظم وعظام مكسوة باللحم. استيقظ الدب جراء رائحة الطعام ثم ظل يفكر متسائلًا، أليس من الأفضل ربما أن يحلم حلما مملا على أن يتناول وجبة الإفطار التي تبدو مملة أيضا ومع ذلك شرع في تناوله بنهم، فالأكل هو المتعة الوحيدة والأخيرة التي تبقت لديه.

-"هل هناك شيئ تقوله لي؟"

-"لا أريد أن أتكلم ، أنا آكل".

-"قل لي شيئا؟"

-"مثلا؟"

-"أي شيئ".

رأى الدب الغراب الجالس فوق السور فقط من زاوية عينيه. فالغراب يمكنه من فوق رؤية كل شيئ بشكل جيد، السياج، خطوات الدب وبقايا طعامه.

-"ما رأيك مثلا في قول: صباح الخير عزيزي الغراب، لم تأكلك الكلاب إذن، ياله من حظ!"

-"حظ من؟"

-"حظ الكلاب. لقد اختنق ذات مرة كلب البَطْبَاط الذكي عندما التهم غرابا بريشه".

قفز الغراب فوق الأحجار واقترب ناحية الدب.

-"هل طعامك لذيذ؟"

-"أجل".

-"ماذا تأكل؟"

-"ما يخطر ببالك".

-"هل لي نصيب فيه؟"

-"كلا".

© 2018 Litrix.de

-"حسنا سأذهب إلى الأسود".

-"بَلِّغْ لهم تحياتي".

-"لقد حصلت الأسود بالتأكيد على طعام أكثر منك.""

-"ويتركون منه القليل".

-"القليل أفضل من لا شيء".

-"هل أنت غراب تُجيد فقط الثرثرة أم ماذا؟!"

الظاهر أن الدب يحكي نكتة جديدة. إنه غاضب نوعا ما ولا يبدو لطيفا بالمرة.

-"كلا، أنا غراب يُجِيدُ التقاط الطعام! اِرْمِ ولو لمرة واحدة شيئا في منقاري آكُلُه".

ابتسم الغراب وأدرك أنه لا يستطيع أن يلتهم حيوانا أَشْعَثَ الوَبَرِ كالذي يقف أمامه. سمع الدب وهو يمضغ ويبتلع بنهم، كأنه أصابه جوع شديد، كأنه أمضى أسابيع بدون طعام. انتزع الدب اللحم من العظام وقَضَمَهَا حتى بدت لامعة وامتص كل غُضْرُوفٍ منها كما لو كان الوحيد في هذا الكون.

-"هل هذه هي كلمتك الأخيرة؟"

كيف له أن يسمع ماقيل وهو مُنْهَمِكٌ في الأكل والمضغ، هو لا يريد أن يسمع شيئا على الإطلاق لأنه لن يقتسم الطعام مع الغراب وما الدَّاعِي لذلك أصلا؟

إنه يجلس فوق السور، حرًا طليقًا بكامل قوته يَتُوقُ أن يأخذ لنفسه من سجين مؤبد ما يستطيع أن يصطاده في البر. هذا ما فكر فيه الدب غير ملتفت إلى من يفسد شهيته.

-"قل لي يا طَرَازَانْ، إلى أين تذهب بالضبط؟ أرى من السماء بيضة تلف الدائرة، تمشي في المرج طوال اليوم، هل عيد الفصح اقترب؟ أين نصيبي إذن من عُجَّةِ البيض؟ آخ، الآن تفطنت! إن البيضة التي تبدو لي من فوق هي أنت أيها الأناني ، كل شيئ لك وحدك وحدك! ليس لديك الوقت لاقتسام الأكل مع أحد!"

-"أنت مخطئ، البيضة لها حرية اتخاذ القرار بمعنى: **أن وجبة إفطاري** لن تأخذها **أبدا!"**

هكذا يجب أن يكون وهذا ما على الغراب أن يستوعبه ولو كان من الأغبياء، لكنه ليس بغبي فهو يتصرف وكأنه لم يسمع الدب.

-"ذهبت مشيا على الأقدام إلى البيت وأخذت حماما ساخنا، ثم أتى مُدَلِّكٌ ودَلَّكَ جسمي المُتَوَرِّم، لكنني لا زلت أشعر عند النزول أن شيئا يُوخِزِي، انظر، هنا شيئ يُوخِزُنِي...، لحسن الحظ أنني أقوى على الطيران".

بسط الغراب جناحه وقفز قفزة تطاير معه ريشه، ثم انزلق إلى السياج إلى أن وطأ الأرض، غير بعيد عن الدب الذي لم يعد يكترث لاقترابه ولا لحديثه.

-"شكرا! شكرا جزيلا على البارحة. لم يكن شيئا طبيعيا لأي مخلوق ولا لدب على الإطلاق...

هل تسمعني؟ أنا أشكرك! لو أن أحدا صوّرنا وتناقلتنا المواقع الإلكترونية لكنا اثنين مشهورين على الانترنت...

أ لا تعي ما أقول !؟ أنت الدب وأنا الغراب وأنت من أنقذني بلا سبب. شيء لا يصدق! نحن في الحقيقة أعداء لبعضنا البعض!"

التهم العدو الضخم قطعة كبيرة من اللحم ولَعِقَ فمه بلسانه الأزرق. تنفس، فتح فمه وتَجَشَّأَ بِأَرْيَحِيَّةٍ بحيث أن كلا من الأسود، قردة البَابُونِ والضِّبَاعِ اشتموا رائحة الطعام الذي قُدِّم له في الإفطار. الأدهى من ذلك هو أن الدب وضع الدلو على بطنه والتهم الطعام بقوائمه الإثنتين، كما لو أن هذه آخر وجبة تقدم له قبل استراحة فصل الشتاء.

." -"أريد أن أوضح لك شيئا نحن لسنا أعداءا، أنا آكل وأنت تنظر إلي

"لكننا لسنا مثل بعض، أنت أدخلت كفك في الماء البارد و..."-

."لم يكن الماء باردا"-

وأخرجتني منه. مثلما يفعل أحد منا مع أخيه، مع صديق أو..."" -

اقترب الغراب من الدب أكثر.

..." مع حبيب"-

اختنق الدب جراء الأكل الذي علق في حنجرته، سعل ثم تساءل منتفضا **حبيب؟**

كاد أن يتقيأ، تنفس بصعوبة بالغة، بعدما استقر حاله وهدأ وتخطى صدمة ماسمع، استمر في تناول الطعام واختلس نظرة جانبية تفحص بها الغراب، الذي لم يعد قبيحا بمظهره الجاف المعتاد وتسريحته الأنيقة.

-"أردت فقط أن أتقدم لك بالشكر الجزيل. شكرا مرة أخرى..."

-"جيد".

إنه لفعل صائب أن الغراب أبدى امتنانه له فهو بدوره يريد أن يكون لطيفا معه.

-"جيد".

-"قل لي هل تبقى شيء من الطعام؟"

-"هذا يكفي الآن! ارحل! هيا ارحل من هنا!!"

رفع الدب كفّه عاليا وقَرَعَ الدلو، صوته المرتفع جعل الغراب يَنْعِقُ وَيُسْرِعُ طائرا في لمح البصر، في وقت وجيز يُضَاهِي الوقت الذي استغرقه الدب في كسر العظم في فمه.

-"لكننا سنرى بعضنا قريبا، أليس كذلك؟"

لا يتمنى الدب أن يرى الغراب مجددا، لا يتمنى أن يراه أبدا. ضرب الدلو الفارغ ثم ذهب في جولة مثل كل صباح بطاقة جديدة يعيد رسم الدوائر القديمة بقوائمه.

أحلام

بينما مرت على الدب أيام خالية من الأحداث جعلته ينعم بأحلام هادئة، كان الغراب و لايزال يطير كل ليلة بحثا عن الطعام - فالذي يذوق مرارة الجوع لا يعرف النوم- حتى أصبحت أصوات الطبيعة مألوفة لديه، يسمع الصراصير تَتَوَدَّدُ للفتيات بعزفها للكمان، و نَقِيقُ الضفادع التي توحي بأدائها للصلوات الوَرِعَةِ متمنّية للّقالق إصابتها في أعناقها بأمراض خبيثة، وكذلك صوت آخر يفضله على كل الأصوات وهو الصوت القادم من حديقة الحيوانات.

-"أحب حديقة الحيوانات في الليل، إنها بمثابة جنة جميلة في الظلام. شخير الدب المنتظم يجانس أنغام الصراصير في البركة. يا إلهي!... هناك بقايا طعام في الدلو! سأحضره بنفسي".

طار الغراب باتجاه مكان الطعام ونزل في الرمل. كان الدب يغط في أحلامه وبدأ فجأة يتمتم بالكلام التالي:

-" غرابي الصغير لاتذهب بعيدا ...أرجوك لا تذهب يا غرابي الصغير" .

صعق الغراب لما سمع، توجهت نظراته نحو الدب وتساءل كيف له أن يتكلم نائما وعيناه مغمضتان؟!

-"صغيري الغراب، هل تسمعني؟ سأعطيك منشفة، جَفِّفْ نفسك قبل مجيئ الكلاب...! يجب أن تطير عنهم بعيدا . فمامغزى حياة الطائر إذا كان لا يقوى على الطيران؟ طر بعيدا يا صغيري الغراب، حَلِّقْ في السماء إلى الحرية . الحرية..."

توقف الدب عن الشخير للحظات ثم عاود الشخير المتقطع مرة أخرى.

-"هل يقصدني بكلامه؟ كم من الغربان يعرف يا ترى؟ مهلا يا أبي الحنون، هل تقصدني أنا؟"

.لم يكن الغراب متأكدا من ذلك، لكنه يريد تصديق الأمر

-"إنه يقصدني أنا".

نجح الغراب في التّغاضي عن الدلو لفترة وظل يحدق في الدب.

-"تبدو جميع الحيوانات أثناء النوم جميلة، جميلة مثل الأطفال. أنت في النهاية جَانَبْتَ الصواب، وليس صحيحا ما تقوله حيوانات السُّرْقَاط عنك، حين اعتقدت أن *الدببة تحب فقط نفسها وتنفجر غضبا بدلا من أن تقتسم طعامها مع الغير*. يقولون إن الدب أكثر الحيوانات غباءً، يقف في الجنة أمام أبواب مُوصَدَةٍ لأنه لا يؤمن بشيء، يفكر فقط في وجبة الطعام المقبلة".

تَقَلَّبَ الدب الثقيل، الغارق في سُبَاتِهِ وسال من بين أسنانه خيط طويل من اللُّعَاب.

-"لاتفقد بعضا من لُعَابِكَ. واصل أحلامك عنّي... إنه لشيء رائع حينما يُولِي أحد منا اهتماما بالآخر ويحرص عليه".

رفع الدب قوائمه للأعلى واستمر في حلمه:

-"لقد دقّ الجرس! يجب علي أن أفتح الباب، لكنني لا أستطيع لأنني ببساطة أسكن في بيت بدون أبواب...! ماذا يفعل البشر في غرفتي؟ إنهم يقتربون مني، ماذا يريدون؟ يقولون يجب علي أن أتحرك، يقولون يجب أن أكون سعيدا، إنهم يقولون يجب على المحظوظ مثلي أن يرقص...! لكنني لا أرغب في الرقص ولا زيارة من أحد...أريد فقط الغراب . لقد كان مضحكا، تخطر على باله أفكار ذكية... آهٍ! لو يعود الغراب مرة أخرى، معه فقط يحلو لي الضحك، معه فقط

أرغب في الرقص...أضحك وأرقص ثم أرقص وأضحك..."

بعدها أُسْدِلَ السِّتَارُ على مَوْطِنِ الأحلام، موطئ الدب المخفي. ظل الدب يَشْخَرُ بصوت عال دون أن يتلفّظ بكلمة واحدة مثلما يشخر أي دب آخر.

لقد سمع الغراب شيئا لا يصدقه عقل، لقد أصبح فخورا بنفسه بِتَقَلُّدِهِ مهمة جديدة.

-"أن يضحك؟ معي؟ أتعرف أيها الدب السّمين، إن بعض الأحلام تصبح حقيقة".

العراف

تبدأ حديقة الحيوانات يومها باكرا. مع فتح البوابة الكبيرة يتحرّر المفتاح والقفل والسلسلة. توافد تلاميذ فصل مدرسي على الحديقة وارتاد كل منهم حظيرة يفضلها. لدى القردة، الفيلة والبطاريق الكثير من المحبين، فهم يُسْتَأْثَرُونَ بالإهتمام أكثر من غيرهم. انضم الغراب أيضا إلى قائمة الزوار المستيقظين باكرا وسرعان ماوجد حيوانه المفضل:

-"دينج **دونج!**"

تَعِدُ بعض الغيوم المُبَدَّدَة في السماء بيوم مشرق. كان الكل مستيقظا و نشيطا إلا الدب، فهو يستيقظ فقط عندما يسمع قرع الدلو المملوء بالطعام. تأخر اليوم عنه الحراس الذين اتجهوا في البداية إلى فرسان النهر، لتوزيع الطعام لهم.

-"دينج دونج! دينج دونج! دينج دونج! دينج دونج..."

فتح الدب نصف عينه اليمنى ونطق بصعوبة:

-"ماذا...ماذا تريد؟"

-"إيقاظك".

-"لقد حققت غايتك".

دخل الغراب في صلب الموضوع.

-"قل لي هل تعرف قصة الضفدع؟ الذاهب إلى حفلة الرقص...؟"

-"نعم أعرفها. ماذا تريد مني؟"

أغلق الدب عينه مرة أخرى وتكور، يظهر عليه أنه غير مستعد لتقبل أي مزحة.

-"هل يمكنني أن أحصل على جزء من اللحم؟"

أصيب الدب بالدهشة وزفر قائلا:

-"إن نجوت ولم تسقط في الماء".

-"كلا لن يحدث، نحن الغربان نتعلم بسرعة".

-"حسنا".

-"ماذا تعني حسنا؟ نعم أم لا؟"

-"وماذا تعطيني مقابل ذلك؟"

-"ممم... سأطير في السماء وأتكهن لك بالمستقبل".

-"هيا طر بسرعة!"

يقول مثل قديم يؤمن به الغربان: "اقفز إلى القمامة وهي ساخنة" وهذا المثل دعوة إلى اغتنام الفرص الجيدة وسرعة

التصرف، لذا انطلق الغراب في عنان السماء بسرعة كبيرة أدهشت الدب. له قدرة هائلة على الطيران، إنه رشيق، قوي، سريع، يعلوه السمو، له مميزات تفوق كل تصور لكنها لا تتلائم مع منقاره الثرثار، حسب وجهة نظر الدب مخاطبا إياه إلى أعلى:

-"قل لي ماذا ترى هناك؟!"

يدرك الغراب جيدا أنه لا مجال لارتكاب أي خطأ فرد قائلا:

-"أرى مدينة مليئة بالبنايات، نهرا، ضفتين تربط بينهما جسور. أرى قطارات تتحرك في كل الإتجاهات وحافلات مليئة بالبشر تقصد الحديقة، ربما لرؤيتك".

-"هل رأيت شيئا آخر؟"

-"كلا".

-"هل ترى لي مخرجا؟"

-"لا، لا أرى لك مخرجا".

-"حسنا. انزل، يمكنك أخذ العظم".

-"كله؟"

-"هل يكفيك نصفه؟"

-"أريده كله. هل يكسوه الكثير من اللحم؟"

-"إنه نصف فخذ".

-"أنت كنزي".

أصاب الغراب هدفه هذه المرة. سحب العظم بعيدا وَهَمَّ بالطيران ممتنا ومُرَدِّداً بمنقاره الممتلئ: **"شكرا! شكرا! شكرا!!!**

اتجه إلى مخبأ سِرّي، به شجيرات كثيفة وراء حظيرة حيوانات السّناد. نزل إلى الأرض دون أن يرصده أحد وشرع في التهام الأكل بنهم، لِيُخْمِدَ عَوِيلَ وحش الجوع في بطنه. لم يصدق حظه الثمين الذي استحقه بالفعل بعد كل هذا التعب، فالعظم الذي حصل عليه عظم كامل بشحمه ولحمه فتح شهيته على الفور.

نظر الدب إلى السماء مرة أخرى وتساءل في ذهنه، إن كان الغراب سيعود مجددا أم لا. لم يقتسم الدب خلال حياته كلها أي شيء يَخُصُّه.

-"لو حدث وكذب علي الغراب لَكَسَرْتُ عنقه. إنه كان صريحا معي ولا أحد يجب أن يغضب من الصراحة".

الجدار

لم يرجع الغراب. استمر غيابه أسبوعا كاملا. كان أطول أسبوع يمر في حياة الدب، انتابه الضيق وشعر كأن جدران حظيرته تعلو أكثر فأكثر.

حينما يمتد أنفه إلى السماء أو تنتصب أذناه إلى الأمام ليستمع إلى غراب يطير، يطل على نفق يخرج منه ضوء خافت. أصبح يدور فقط نصف دائرة ولم يجد وسيلة للهروب من دوامة الكآبة التي ألمت به.

-"كيف حالك يا دبدوب؟"

اعتقد الدب أنه يحلم بالنهار وهو مستيقظ وأجاب بشكل عادي كأنه لم يشتق إلى الغراب.

-"كيف تبدو الأمور؟"

كان بإمكانه القول: يسعدني أنك عدت بعد طول غياب! لكنه على عكس الغراب لم يجرؤ على قول الحقيقة.

-"ما الجدوى من وقوفك أمام الجدار؟"

-"وأنت ما الذي دفعك أن تأتي إلى هنا مجددا؟"

-"الجوع... ربما؟"

-"هل لديك أخبار جديدة؟"

-"نعم، لقد أطعموا الزرافة للأسود".

-"ماذا تقول؟ ماريوس؟!"

تذكر الدب الزرافة المسماة ماريوس، عندما كان يقف على أعلى صخرة، كان يستطيع رؤيتها وتبادل التحية معها. لم يسبق له أن تكلم معها لكنها كانت تفهم أبسط قواعد اللياقة، وكانت تنحني له بكل لطف وود عند رؤيته.

تظل الحيوانات في حياتها اليومية تدور في دائرة، لا تستطيع مغادرة المكان، تنظر إلى بعضها البعض طوال اليوم. كان الدب والزرافة يُحَيِّيَانِ بعضهما بعضا ما يصل إلى مائتي مرة في اليوم. لقد أحب الدب ماريوس بالفعل.

-"لماذا قُدِّمَتْ ماريوس فريسة لهم؟ هل كانت مريضة؟"

-"ليس لي علم بهذا الأمر، لقد نُفِقَتْ في كل الأحوال قبل إنقاذها".

-"وما السبب يا ترى؟"

-"أظن أنها كانت تُحَدِّقُ طويلا في الجدار".

التفت الدب للغراب وقال:

."-" على الأقل لم يتسبب الأسود في قتلها

-ضحك الغراب وقال:

-"ماذا جرى لكم؟ ليس لديكم رغبة في الصيد؟ تُفَضِّلُونَ التَّرَبُّصَ والإستلقاء لساعات طويلة تحت الشمس، وتجعلون مخالب كفوفكم أكثر حِدَّةٍ وتَشْحَذُونَ أسنانكم، وعندما ترون كائنا حيا لا تَدَّخِرُونَ وُسْعاً للفتك به! هاهاهاها!"

لعب الغراب مقطعا لطيفا من مسرحية حول صيد الأسود، بدون نص، اعتمد فقط على حركة الجسد. لقد فقد السيطرة على نفسه، بدا وكأنه يرغب في قضم حمار وحشي بأكمله. قذف مافي منقاره، نقر و فتّت أحجارا صغيرة ثم خَرْبَشَ بمخالبه بطريقة جنونية في التراب أظهرت إشارات مبهمة. عندما انتهى سأله الدب وهو ضَامٌّ شفتيه:

"-"هل نلت شيئا من الطعام؟

-"من الأسود؟ لا شيء".

أنت الآن هنا لـــ..."

-"لأنني أَتَضَوَّرُ جوعا ولم يتبرع لي أحد بجزء ولو صغير من البطاطس المقلية مع لحم الزرافة..."

-"حظك سيئ".

ضحك الدب.

-"وماذا عنك؟ لماذا أنت هنا؟"

-"لأن كل جولة لي هنا تنتهي بعد سبع خطوات. يسير الدب القطبي مائة كيلومتر في اليوم، أما أنا فلن استطيع قطع هذه المسافة ما حييت."

-"هل تستطيع الطيران؟"

-"هل تستطيع السباحة؟"

-"يمكنني إعداد قارب. نحن الغربان حاذقون، عندما نجد الخبز اليابس ننقعه في ماء البركة"

-"أرني هذه البركة لأنقع فيها الجدار".

-"جدارك هو جنة في الأرض. ماذا تريد أكثر؟ لديك ثلاث وجبات في اليوم، حوض السباحة والجدار الذي يحميك من الأسود".

"-"لا أهاب الأسود.

-"يحميك الجدار أيضا من الفيلة".

-"لكنها لا تحميني من الغربان!"

لفّ الدب الدائرة وأبدل وقوفه بجولة داخل السياج لا جدوى من ورائها.

-"هل تريد إكمال طعامك؟"

-"لا أريد".

"هل يمكنني الحصول عليه؟"-

."كلا"-

"لماذا ؟"-

."-"لأنك تأتي هنا فقط لتأخذ من طعامي

."تكفيني فقط قطعة خبز"-

."-"لم يَيْبَسْ بعد. عد فقط عندما ترغب في الحديث معي

-"حاضر، ثم أحصل على..."

"قلت عد لأجلي أنا!"-

."-"جيد سأعود لأجلي ولأجلك

."-"واحضر معك البركة للجدار

"هل أعتبرها مزحة؟"-

ابتسم الدب. كانت المزحة في محلّها أسعدته عند رؤية وجه الغراب.

"حسنا. سأضحك حالما أفهمها. سأذهب الآن. يمنح الجوع القوة للأجنحة لتطير... أراك في الغد!"-

طار الغراب بعيدا وظل الدب واقفا في مكانه. لم يُحَدِّقْ في الجدار بل تتبع الغراب بعينيه وضحك قائلا:

-" أراك غدا".